خاير بك "المحتسب" ودوره في تحريم القهوة بمكة المكرمة ذو القعدة ٩١٥- محرم ٩٢٠هـ/ فبراير ١٥١٠- مارس ١٥١٤م.

"دراسة تاريخية"

د/ جواهر محمد دايس الدندني

أستاذ مساعد –جامعه حائل – المملكة العربية السعودية

مقدمة:

أثار تحريم القهوة في مكة المكرمة جدلاً واسعاً بين الدارسين من قدامى ومحدثين[١]. وتركزت الدراسات حول جدلية الحل والتحريم اعتماداً على الفتوى التي أصدرها مجموعة من حضر ذلك المجلس الذي دعا إليه خايربك – المحتسب – في رحاب المسجد الحرام وتبعه كتابة محاضر بذلك تضمنت اسباب التحريم ووقع على أحدها عدداً من الفقهاء، وتم رفع المحضر ومعه سؤال إلى السلطان قانصوه الغوري (٩٠٦- ٩٢٢هـ) عن القهوة وشيوعها بمكة المكرمة وفي المسجد الحرام وأنها تؤدي إلى السكر وما تلحقه من ضرر في البدن والعقل بموجب ما ذكره الأطباء، وردع من يقول بحلها[٢]. وبعد عرض الأمر على القضاة في القاهرة أمر السلطان بإرسال مرسوم بمنع شربها والدوران بها في الأسواق ومعاقبة من يقول بحلها[٣].

---

[١] للمزيد عن المصادر المبكرة لدراسة القهوة عند العرب، راجع: عبدالغفور إسماعيل الروزي، تاريخ التأليف في القهوة، محاولة رصد لأدبيات القهوة العربية، عالم الكتب، مج ٢٥، ع ٣- ٤ (ذو القعدة ١٤٢٤/ صفر ١٤٢٥هـ – يناير / فبراير ٢٠٠٤م) ص ٢٠٣- ٢٢٧؛ لطف الله قارى، من المصادر المبكرة لتاريخ القهوة عند العرب، عالم الكتب، مج ٢٧، ع١، ٢، ٢٠٠٥م، ص ١١٦- ١٢٢.

[٢] راجع على سبيل المثال دراسة حاتم محاميد، حاييم نسيم، القهوة ما بين التحريم والإباحة – الجدل الديني في آواخر العصر المملوكي وبداية العصر العثماني، المجمع،١٣، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م، ص ٣٥- ٧٨.

وقدم المؤلف عرضاً عن الكتابات التاريخية والمعاجم والقصائد الشعرية التي تناولت القهوة، اسباب الجدل حولها. أما عن دور خاير بك فقد ذكر أن قضية القهوة شغلته كمحتسب دون الإشارة إلى تحليلهما للأسباب التي دفعته إلى ذلك، إضافة إلى عدم اعتمادهما على رواية العز بن فهد. أما سعيد السريحي فقد أفرد فصلاً عنونه التحريم ولعبة الأسئلة ص ٨١- ١٠٦، تناول فيه دور خاير بك في الدعوة للمجلس الذي أصدر فتوى التحريم، واعتمد على ما أورده الجزيري من انتقادات وجهها إلى خاير بك. ويحلل هذا الموقف بالصراعات التي شهدتها مكة حول الحكم، إضافة إلى العلاقة بين المماليك واليمن وهو ما لاتتفق فيه الباحثة مع المؤلف والذي اعتمد فقط على=

ثمة عدة تساؤلات تحاول الباحثة الإجابة عليها من خلال بحثها عن دور خاير بك محتسب مكة وما هي دوافعه في ذلك؟ وهل نجح فيما قام به، وما ترتب من آثار على القهوة في مكة المكرمة بصفة خاصة، وخارجها بصفة عامة؟

التعريف بخايربك (ت: ٢صفر ٩٢٢هـ/ ٧ مارس ١٥١٦م):

ترجم ابن إياس لخاير بك مشيراً إلى أنه كان أحد مماليك الأمير أينال الأشقر أمير السلاح[٤]، لذا ورد اسمه منسوباً إليه، وساعدته الأقدار حتى أصبح كاشفاً للغربية[٥]، ثم أنعم عليه السلطان قانصوه الغوري بتقدمة ألف، وكان مسعود الحركات، وعند وفاته خلف من الموجود ما لا يحصى[٦].

أوردت المصادر العديد من الأسماء التي شاركت خاير بك في نفس الاسم، بل أحياناً في المنصب الذي كان يشغله وهو كاشف الغربية مما جعل على الباحثة صعوبة تحديد دوره في

=رواية الجزيري دون الرجوع إلى العز بن فهد المؤرخ المعاصر للأحداث والذي سيقدم الكثير من التفسيرات سوف تحللها الباحثة بإذن الله. راجع سعيد السريحي، غرابة الاسم، سيرة القهوة وخطاب التحريم، الرياض، ٢٠١١م، ص٨١- ١٠٦.

[٣] شكلت المراسيم مصدراً هاماً لدراسة تاريخ الحجاز والتي إرسالها من جانب السلطان المملوكي في القاهرة عبر العديد من الأشخاص، كما وردت في المصادر بمعنى المنشور والمكاتبة والاوامر. للمزيد راجع: أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، التعريف بالمصطلح الشريف ، تحقيق: محمد حسن شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ١٢٩- ١٣٠. وسوف تشير الباحثة لاحقاً إلى طريقة إرسال هذا المرسوم ومحتواه.

[٤] ذكرت المصادر عدة مسميات لخاير بك ومنها من إينال والذي شغل عدة مناصب منها نائب في ملطية وطرابلس وحلب، وكذلك والياً على القاهرة وتوفي في رمضان ٨٧٩هـ/ ١٤٧٥م واشتهر بشدته في أحكامه وربما تأثر خاير بك به فيما بعد. للمزيد: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبدالرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت، د.ت، ج٢، ص٣٣٠.

[٥] تعد وظيفة الكاشف من الوظائف الهامة وكان من مقدمي الألوف وله العديد من المعاونين. أما إقليم الغربية فقد شمل أربعة مدن رئيسة. وكان يتم اختياره كل عام أو عندما يخلو المنصب. راجع: غرس الدين بن شاهين، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، باريس، ١٨١٤م، ٣٥، ١٢٩.

[٦] محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، ج٥، مكة المكرمة، ص١٥.

الفترة ما قبل عام ٩٠٨هـ/ ١٠٥٢م عندما ذكره ابن إياس " خاير بك السيفي أينال بن أينال كاشف الغربية" وذلك كمقدم ألف ولكن دون وظيفة[٧].

اختياره باش للتجريدة ودوره في محاربة القبائل في طريق الحجاز:

هددت العديد من القبائل طريق الحج مما استدعى السلطان أن يعد تجريدة لإرسالها لمحاربة هذه القبائل وحفظ الأمن من تلك الأخطار. وكان ذلك في ربيع الأول ٩١١هـ/ سبتمبر ١٥٠٥م وجعل خاير بك باش عليها، كما قرره أميراً بركب المحمل[٨]. غير أن السلطان توقف عن إرساله وأمر بمنع خروج الحاج سواء من مصر أو الشام في ذلك العام مما اعتبره ابن إياس من أعظم المصائب والثلم في الدين وانتقد السلطان الغورى بسبب إهماله الامور في الحجاز حتى تزايدت الفتن. كما تنكد السلطان عندما وصلته الأخبار بخروج حجاج من اليمن فرأى ذلك نقصاً في حقه[٩].

دور خاير بك في القضاء على خطر القبائل وتأمين طريق الحج:

أعاد السلطان الغورى اختيار خاير بك ليكون على رأس التجريدة المرسلة للقضاء على تلك الأخطار التي هددت طريق الحج وكان ذلك في ربيع الآخر ٩١٢هـ/ أغسطس ١٥٠٦م التي سافرت في رجب من نفس العام وزوده بما يحتاج إليه من المماليك الذين بلغ عددهم خمسمائة ، إضافة إلى مائة قواس[١٠]، وكانت الأخبار تصل أولاً بأول إلى مكة المكرمة حيث سجل العز بن فهد ذلك، كما تواصل ارسال المراسيم من السلطان للتنسيق بشأنها[١١]. وبدأت تظهر شخصية خاير بك القيادية حيث أرسل مرسوماً إلى مكة لكي تصله المساعدات منها وذلك بعد وصوله

---

[٧] من بين هذه الأسماء، خاير بك العلاي الأشرفي قايتباي، خاير بك كاشف الغربية الشهير باللامي وغيرهما. راجع ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٣٨٤، ٤٢٦، ٤٣٠، ٤٤٩، ٤٧٠، ج٤، ص١٨، ٣٠.

[٨] ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٨٥– ٨٦.

[٩] نفس المصدر، ويشير العز بن فهد إلى وصول أنباء مهاجمة قبيلة بني إبراهيم لمكة وجدة وما قامت به من أعمال نهب مما جعل السلطان يوقف خروج الركب في هذا العام. للمزيد: عبدالعزيز بن عمر بن فهد، بلوغ القرى في ذيل أتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق ودراسة: صلاح الدين بن خليل إبراهيم وآخرون، دار القاهرة، د.ت، ١٤٤٤، ١٤٦٢. وعن أحوال الحجاز راجع: ريتشارد مورتيل، الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي، دار جامعة الملك سعود للنشر، الرياض، ١٤٤٠هـ، ص٢٠١– ٢١٦.

[١٠] عزالدين عبدالعزيز عمر بن محمد، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ج٢، ص١٨٩– ٢٠٠.

[١١] العز بن فهد، بلوغ القرى، ص١٥١١– ١٥٧٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ٨٢– ٩٨.

إلى ينبع[١٢]. ودون الدخول في تفاصيل هذه الحوادث فقد سارع خاير بك لكي يستغل ذلك في الدعاية لنفسه فيما حققه حيث أرسل أوراقاً إلى مكة بهذه الانتصارات، كما أرسل إلى السلطان في القاهرة يبشره بذلك وأرسل مائة من رؤوس القتلى، إضافة إلى اربعة إلى جدة[١٣]. وكان لذلك أثره في القاهرة حيث أمر السلطان بالاحتفال بذلك. وتوجه خاير بك إلى مكة المكرمة صحبة الشريف بركات، وعندما وصلته أنباء وصول الكسوة إلى جدة كان ضمن من استقبلها في مكة[١٤].

عاد خاير بك صحبة قواته مع المحمل حيث وصل إلى القاهرة في ربيع أول ٩١٣هـ/ يوليو ١٥٠٧م، وحمل معه ثمانمائة من رؤوس بني إبراهيم، وأنعم السلطان عليه بأمره طبلخانة[١٥]. ويعلق ابن إياس على ما حققه انتصار خاير بك أن الحج كاد أن ينقطع بسبب فساد الطرقات فلله الحمد[١٦].

أثبت خاير بك جدارته في تحقيق هدف السلطان الغورى حيث أن خروج ركب الحج المصري يمثل أهمية خاصة لمكانته في العالم الإسلامي، إضافة إلى أمن الحجاز بصفة عامة ومكة المشرفة والمدينة النبوية بصفة خاصة. كما كان اختيار خاير بك لجدة بإرسال رؤوس القتلى اختياراً يدل على ذكائه في الدعاية بهذا المرفأ التجاري الرئيس والذي يصل إليه التجار من مختلف الجنسيات الإسلامية[١٧].

---

[١٢] ينبع البحر أحد الموانئ الهامة الواقعة على ساحل البحر الأحمر وتعد ميناء المدينة النبوية وتبعد عنها ٢٥٠كم غرباً من ناحية بدر، وعن جدة بنحو ٣٥٤كم. كما عرفت ينبع النخل أيضاً وذكر أيوب صبري أنها مكونة من عدة قرى وبساتين ولذا عُرفت بهذا الاسم. وحددها الجاسر بأنها تبعد عن المدينة بنحو مائة وخمسين كم . ووردت أيضاً ينبوع في مصادر العصر المملوكي فيما بعد القرن الثامن. للمزيد: حمد الجاسر، بلاد ينبع لمحات تاريخية جغرافية وانطباعات خاصة، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، د.ت، ص٩- ١٠، ص١٠٩- ١١٠، ص١١٦

[١٣] العز بن فهد، بلوغ القرى، ص١٥٣٧- ١٥٤٩؛ إبن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص١٠٥

[١٤] العز بن فهد، بلوغ القرى، ص١٥٥٧.

[١٥] الطبلخانة فرقة كانت تقوم باستخدام الطبل وغيره أمام باب السلطان كل ليلة وأمامه إذا خرج، وكان لها أمير من المماليك له ما بين الأربعين إلى ثمانين، إضافة إلى اقطاع يبلغ ثلاثين ألف دينار. راجع : أحمد رضا، معجم متن اللغة، بيروت، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م، ج٣، ص٥٥٨؛ محمد البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م، ص٢٢٨.

[١٦] ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص١١١.

[١٧] عن أهمية جدة وتحول تجار البحر الأحمر منذ عام ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م وتعيين وظيفة نظر جدة راجع: نادية عابد محمد العدواني، وظائف العسكريين في مكة المكرمة في عصر المماليك الجراكسة =

خاير بك وعمارة طريق الحج ربيع الآخر ٩١٤هـ/ رجب ٩١٥هـ:

عاد خاير بك مرة أخرى للقيام بدور جديد تمثل في اختيار السلطان الغورى له في ربيع الآخر ٩١٤هـ/ أغسطس ١٥٠٨م بالتوجه إلى عقبة أيله لبناء خان وأبراج لخدمة الحجاج، إضافة إلى إصلاح العراقيب التي بالعقبة[١٨]، ويتضح من الشواهد الإنشائية جملة ألقاباً منها " شاد المقر العالي الأمير خاير بك أحد مماليك السلطان"[١٩]. وفي نقش آخر ورد " خاير بك المعمار" [٢٠]. ومن الملاحظ أنه حرص على أن يسجل لقب السلطان على النقوش " سلطان الزمان خادم الحرمين الشريفين"[٢١] وذ١لك كنوع من إثبات ما يقوم به السلطان من أعمال العمارة في طريق الحج والذي يسلكه الحجاج من مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

خاير بك محتسب مكة المكرمة:

أشاد ابن إياس بما قام به خاير بك من أعمال العمارة السابقة بأنها جاءت من أحسن المباني في ذلك المكان مما يعني نجاح خاير بك في الدعاية لنفسه بما حققه في هذا الجانب وتقربه إلى السلطان الغوري[٢٢]. كما جاءت شهادة الحجاج العائدين عن هذه العمارة سواء من الإصلاحات

=(٧٨٤- ٩٢٣هـ/ ١٣٨٢- ١٥٦٧م)، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالاسكندرية، م٣، ص ٣٦٤، ص٤٩٥- ٥٣١.

[١٨] العراقيب جمع عرقوب وهي الطرق الضيقة من الجبل وكان يعيق طريق الحجاج وأصلحه السلطان قانصوه الغوري على يد الأمير خاير بك. وعن هذه النقوش راجع: سامي صالح عبدالمالك، القلاع الحربية بسبه جزيرة سيناء ودورها في العصرين المملوكي والعثماني (٦٤٨- ١٣٣٣هـ/ ١٢٥٠- ١٩١٤م)، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١١م، ٥٩٠- ٨٠٩؛ درب الحج المصري في سيناء، طريق الحج: جسور التواصل الحضاري بين الشعوب، ندوة طرق الحج، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م،١٤٤- ٢٠٨.

[١٩] أشار ابن إياس إلى لقب المعمار عند تكليف السلطان قانصوه الغوري بذلك في ربيع الثاني ٩١٤هـ . ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص١٣٢.

[٢٠] ورد في نقش قلعة عجرود " خاير بك العلائي" أما في عراقيب البغلة " الأمير خاير بك العلائي أحد مماليك السلطان"، راجع: عبدالمالك، درب الحج، ص١٨٤، ٢٦٢.

[٢١] ظهرت في هذه النقوش ألقاباً عديدة للسلطان الغوري ومنها " سلطان الزمان" ، أما لقب خادم الحرمين الشريفين فقد تكرر في باقي النقوش في عراقيب البغلة، وخان وقلعة أيلة، راجع: عبدالمالك، درب الحج، ص١٨٤. وكان ظهوره لأول مرة في عهد صلاح الدين الأيوبي كما أورده ابن شداد، راجع: يوسف بن رافع بن تميم بهاء الدين ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية " سيرة صلاح الدين الأيوبي"، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص٢٥.

[٢٢] ابن إياس، بدائع الزهور، ٤، ص١٣٣.

أو المنشآت الجديدة، إضافة إلى الحامية التي أقامت هناك ويتم استبدالها كل عام، لكي يصبح "مسعود الحركات" كما وصفه ابن إياس[٢٣].

عاد السلطان الغوري لتكليف خاير بك بالتوجه إلى مكة المكرمة وبصحبته البنائين والنجارين والمهندسين للقيام بأعمال عمارة بها حيث سافر عبر البحر وذلك في رجب ٩١٥هـ/ أكتوبر ١٥٠٩م [٢٤]. وتابع العز بن فهد تحركات خاير بك عبر ما كان يصله من أخبار. ويذكر وصوله في أول ذي القعدة ٩١٥هـ/ ١٠ فبراير ١٥١٠م إلى خارج مكة وخروج القضاة والباش جان بردى للسلام عليه وذهابه إلى مخيمه بعد صلاته للعشاء وطوافه[٢٥]. وتم قراءة مرسوم بأنه وصل " معماراً" والمهام المكلف بها وأن يتم تقديم العون له في ذلك[٢٦]. وفي شوال ٩١٥هـ/ يناير ١٥١٠م وصل أمير الحاج طقطباي الأشرفي زمعه مرسوم لخاير بك أن يكون باش المماليك ومحتسباً وناظراً على المدرسة الأشرفية وأوقافها[٢٧].

وقبل أن نتناول دور خاير بك كمحتسب في تحريم القهوة نتوقف عند رواية العز بن فهد لبداية هذا الموقف تجاه القهوة في مكة المكرمة والتي تعددت الآراء حول تاريخ انتشارها بها وهو ما يحتاج إلى بحث مستقل إضافة إلى ما تناولته كثير من الدراسات حول هذا الأمر[٢٨]. لم يشر العز ابن فهد إلى القهوة في مؤلفه قبل تاريخ الفتوى التي حرمها الشيخ شمس الدين بن الخطيب المصري[٢٩].

---

[٢٣] ابن إياس، بدائع الزهور، ٥، ص١٥

[٢٤] العز بن فهد، بلوغ القرى، ص١٦٩٠– ١٦٩٥

[٢٥] نفس المصدر، ص ١٧٠٢– ١٧٠٥

[٢٦] يذكر العز بن فهد أنه لم يتحقق من ولاية خاير بك للحسبة وباشية الاتراك أو الباش العتيق حتى الموسم مما يدل على أن أخبار المرسوم الذي حمله أمير الحاج معه كانت مسربة قبل وصول خاير بك أو كان على علم بها. راجع: بلوغ القرى، ١٧٠٣– ١٧٠٤

[٢٧] عن مهام الباش أو الأمير الراكز في مكة راجع: عدنان بن محمد الشريف، الأمير الراكز في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي: نشأتها، تطورها، اختصاصات صاحبها، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ع ٥٧، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، ص١١٩– ٢٥٣

[٢٨] راجع: أروى أحمد الخطابي، تجارة البن اليمني، رسالة ماجستير، جامعة صنعاء، ٢٠٠٤م؛ محمد الأرناؤوط، من التاريخ الثقافي للقهوة والمقاهي، جداول، ٢٠١٢م، ص ١٣– ٢١

[٢٩] ترجم له الغزى بأنه محمد الخطيب – محمد بن محمد بن أحمد بن علي شمس المصري الحنفي الشهير بالخطيب مولده في ٨٥٠هـ ووفاته في المحرم ٩١٩هـ. راجع: نجم الدين محمد بن محمد الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق: خليل المنصور، بيروت، ١٤١٨هت/ ١٩٩٧م، ١/ ١٧.

وعارضه في ذلك العلماء إضافة إلى اهل مكة مما جعله يتوجه إلى خاير بك المعمار الذي أغراه على ذلك والذي قام بدوره بدعوة قضاة مكة الأربعة الشافعي والمالكي والحنفي والحنبلي وعارضهم الشيخ نورالدين علي بن ناصر[٣٠] مفتياً بحلها وأصر على ذلك ووافقه كثير من الحاضرين. غير أن الشيخ شمس الدين الخطيب أصر على تحريمها ووافقه الشيخ محمد النجمي الحنفي [٣١] والشيخ عبدالله باكثير الحضرمي[٣٢] حيث زعموا أنها مسكرة وشهد على ذلك شخصين بانها مغيرة للعقل. وعقب ذلك أمر الباش – جان بردى – بالقبض على بائعيها وأخذ ما معهم من القشر وأحرقه في المسعى ومنع بيعها. ويعلق العز بن فهد بأن ذلك لم لم يكن له أثر وازدادت القهوة ظهوراً، وكان ذلك في ٢٢ المحرم ٩١٥هـ/ ١٢ مايو ١٥٠٩م [٣٣].

من المرجح أن ما ذكره العز بن فهد عن وجود خاير بك في هذه الحادثة جانبه الصواب لأن إبن إياس يذكر أن خاير بك كان مكلفا من السلطان بأعمال عمارة طريق الحج وعاد من هذه العمارة في رجب ٩١٥هـ/ أكتوبر ١٥٠٩م مما يعني عدم وجوده في مكة في هذا التاريخ المتعلق ببداية تحريم القهوة[٣٤]. ومن ناحية أخرى لم يكن لجان بردى باش المماليك اهتمامه بتحريم القهوة حيث هدده الشريفين بركات وقايتباي بإبلاغ السلطان عما قام به من استباحة الناس في مكة وضربهم فتوقف عن ذلك[٣٥].

[٣٠] من علماء الشافعية بمكة له مؤلفات منها مختصر المنهاج وشرحه، وأجاز لاحد العلماء في ذي القعدة ٩١٥هـ ووفاته غير معروفة. الغزي، الكواكب السائرة، ١/ ٢٧٨.

[٣١] ترجم له الغزى بأنه محمد النجمي، الإمام شمس الدين النجمي، أحد علماء مكة المشرفة، وتوفي بها في ٩٢٥هـ ، وذكره ابن طولون محمد بن النجمي الحنفي، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان. خليل منصور، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ٣٨٩؛ الغزي، الكواكب السائرة، ١/ ٩١

[٣٢] قدم إلى مكة في ٢٩ من ذي القعدة٩١٤م مع ركب الحج المصري. وكان له مواقف متشددة مما جعل الشريف بركات يهدده بإبلاغ ذلك إلى السلطان الغوري وأرسل يعتذر بعد نصيحة القاضي الحنفي له ويعلق العز بن فهد قائلاً أن المسموع عنه كثير، والله اعلم بتحقيقه ذلك. العز بن فهد، ذيل بلوغ القرى، ص ١٦٥٤، ١٦٦٢، ١٦٦٣

[٣٣] العز بن فهد، ذيل بلوغ القرى، ص ١٦٦٣– ١٦٦٧

[٣٤] لم يحدد فترة بقائه وذكر فقط مدة يسيرة ورسم له بأنه يتوجه إلى مكة. راجع ٤/ ١٦٣

[٣٥] العز بن فهد، ذيل بلوغ القرى، ١٦٧٠

لم ينتظر خاير بك قراءة مرسومه باختياره محتسباً إلى جانب باقي الوظائف حيث أظهر الشدة في ممارسة مهام هذه الوظيفة. فقد أمر بإزالة القمامة من المسعى وأماكن أخرى، ولما تقاعس البعض عن ذلك قام بمعاقبتهم بالضرب فبادر الناس بإزالتها خوفاً من العقوبة.[٣٦]

استمر خاير بك في تنفيذ ما كلفه السلطان الغوري به من أعمال العمارة في السجد الحرام وتوفير المياه في مكة المكرمة وذلك عن طريق النظر في عيون المياه بها وما تحتاجه من عمارة ونحو ذلك[٣٧]. وكعادته حرص خاير بك على تسجيل ما يقوم به وإشهاد القضاة في مكة على ذلك وإرسال المحاضر إلى السلطان الغوري في القاهرة[٣٨]. كما عمل على إرضاء السلطان بمصادرة أموال أحد التجار الذي مات وامتنعت زوجته عن أن تسلمها له. وتحقيقه في قضية أخرى عما أشيع على عثور بعض المعمارية على لقية مدفونة. كما حقق في خلاف حول أحد البيوت وتنازع شخصين حوله، وأمر منادى بعدم بقاء التجار بعد انتهاء الحج في مكة وتهديد من يخالف ذلك بالعقوبة، ثم عاد ونادى ببقاء من له مدة منهم في مكة فقط[٣٩]، وكان لهذه الأعمال أثرها على إرسال السلطان الغوري مرسوماً له ومعه خلعة شكراً من السلطان على ما وصله من تنفيذ خاير بك لما أمره به من مهام.[٤٠]

خاير بك المحتسب وتحريم القهوة في مكة المكرمة:

عمل خاير بك على تنظيم عمله في مكة حيث أرسل إلى دواداره في القاهرة فحضر إلى مكة في جمادى الأولى ٩١٦هـ/ أغسطس ١٥١٠م، إضافة إلى وجود مقدم معه، وكذلك منادى تابع له[٤١]. وهذا يدل على ما كان يهدف إلى تحقيقه من ممارسة المناصب التي حصل عليها في

---

[٣٦] العز بن فهد، ذيل بلوغ القرى، ١٧٠٦

[٣٧] أشار العز بن فهد إلى عدة عيون منه عين عرفة، عين مكة، عين الجمجوم والتي كانت موضع عناية السلاطين وأهل البر على مر العصور. للمزيد راجع: شريفة بنت صالح المنديل، ملامح التطور العمراني للمنشآت المدنية في مكة خلال عصر المماليك الجراكسة (٧٨٤- ٩٢٣هـ/ ١٣٨٢- ١٥١٧م) ، رسالة المشرق، ص ٢٤٦- ٢٩٤

[٣٨] العز بن فهد، ذيل بلوغ القرى، ص ١٧٣٣- ١٧٤٤

[٣٩] نفس المصدر، ص ١٧١٥، ١٧٣٧، ١٧٤٣، ١٧٦٠

[٤٠] يذكر العز بن فهد أن المرسوم كان مؤرخاً في شعبان ٩١٦هـ. ذيل بلوغ القرى، ١٧٥٢

[٤١] الدوادار أحد الوظائف الهامة في العصر المملوكي وتتكون من دواة وهي عربية تعني ما يكتب به، ودار أي ممسك وهي فارسية – فصارت حامل الدواة الخاصة بالسلطان أو من يعمل في خدمته، وتعددت المهام التي =

المرسوم السابق. أما فيما يتعلق بوظيفة المحتسب فقد أصبح لها شأن سواء في القاهرة أو في مكة. يصف ابن إياس الحسبة والولاية بأنهما كانتا في قديم الزمان من أقل الوظائف ووليها جماعة ليس لهم مكانة، ولكن عظم شأنهما وصارتا من أجل الوظائف حتى صار من يتولى الحسبة يسعى لها مقابل ألوف الدينار، وهو ما انعكس بالفعل عند وفاة خاير بك أنه كان عنده من الموجود ما لا يحصى[٤٢]. وفي ٢٣ من ذي القعدة ٩١٦هـ/ ٢١ فبراير ١٥١١م وصل خازندار خاير بك من القاهرة لكي تكتمل لديه مجموعة من المساعدين لم تتوفر لأحد من المحتسبين في مكة وهو ما يؤكد ما ذكره العز بن فهد عنه أنه أراد أن يفتح مكة فتحاً جديداً[٤٣].

دور خاير بك في تحريم القهوة:

لم ينجح الباش جان بردى في تطبيق الفتوى التي صدرت في عام ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م حيث أن المؤيدين لشربها لم يمتثلوا لهذه الفتوى خاصة في ظل ما كتبه نورالدين علي بن ناصر في مؤلفه " إثبات القهوة المرددة لمن أطلق تحريم القهوة المجددة."[٤٤]كما أن هناك مؤلف آخر لحمزة بن عبدالله محمد الناشري (٨٣٣- ٩٢٦هـ/ ١٤٣٠- ١٥٢٠م) عبارة عن قصيدة مكونة من خمسين بيتاً تناول في قسم منها معرفة أحكام البن وهل شربه حلال أم حرام[٤٥]. ولم يتضح

=يقوم بها. للمزيد راجع: هبة محمود سعد عبدالنبي، الدوادار الثاني في مصر في عصر المماليك الجراكسة، مجلة حوليات إسلامية، ٤٠ (٢٠٠٦م)، ٧١- ٩٠

أما المقدم فقد أشار العز بن فهد إليه في شعبان من ٩١٦هـ عندما أمر خاير بك بحبسه ومعه أخيه بسبب خلاف على مال وأن يدفع ذلك المال من يرغب في أن يصبح مقدماً. راجع: العز بن فهد، ذيل بلوغ القرى، ١٧٤٨- ١٧٨٠

[٤٢] ابن إياس، بدائع الزهور، ٥، ص٢٣، ٢٧، ويشير إلى أن أحد المحتسبين دفع ثلاثين ألف دينار لكي يلي هذه الوظيفة. وراجع أيضاً: سهام مصطفى أبو زيد، الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م، ص٨٦- ٩٩؛ محمد الطاسان، القضاء في مكة في العهد المملوكي، مجلة العصور، م٦، ج٢، يوليو ١٩٩١م/ ذي الحجة ١٤١١هـ

[٤٣] العز بن فهد ذيل بلوغ القرى، ١٧٠٧، ١٧٦٢

[٤٤] كان المؤلف كتبه بعد ما أثير عن تحريم القهوة ونقل منه الجزيري أن القهوة ليست مسكرة ولا مضرة بعقل ولا بدن كما يشهد به الحس والتجربة والوجدان، وقياسها بالحشيشة قياس مع الفارق، وهو خطأ... ويقول أن من ينكر ذلك غبي أو مكابر... أو متبع هواه خامل في العلم فيخالف كما يقال خالف تعرف. عبدالقادر بن محمد الجزيري، عمدة الصفوة في حل القهوة ، تحقيق: عبدالله بن محمد الحبشي، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي ، ١٩٩٦م، ٤٣

[٤٥] مخطوط في جامع صفاء الأوقاف ١٢ مجاميع – ولدى الدكتور عبدالودود مقشر نسخة أخرى ذكرها في بحثه. نشأة القهوة العربية وانتشارها زراعة البن في اليمن ما بين القرنين الرابع عشر والسابع عشر الميلادي، =

للباحثة هل تاريخ القصيدة قبل صدور الفتوى الثانية في مكة في ٢٣ ربيع الأول ٩١٧هـ/ ٢٠ يونيو ١٥١١م أو بعده.

مؤلفات لمشاركين في إصدار فتوى التحريم:

ورد في كراس التراجم المفيدة أرسله جارالله بن فهد إلى ابن طولون الإشارة إلى مؤلفات تتعلق أيضاً بتحريم القهوة ذكرها في عام ٩١٧هـ وهي في الغالب سبقت دعوته لهؤلاء القضاة والأطباء وغيرهم للمشاركة في مناقشة أمر القهوة[٤٦].

– أصل في التحريم للعلامة عين الأطباء بمكة نور الدين أحمود بن محمد بن خضر العمري الكازروني الشافعي نزيل مكة وكان تأليفه له في سنة ٩١٧هـ[٤٧]

- مكي بن الزبير العدوى، قمع الأمارة بالسوء عن الشهوة بنيات مدام شرب القهوة.[٤٨]
- البدرى حسن بن العلامة عفيف الدين عبدالله بن كثير الحضرمي الأصل، المكي الشافعي ومؤلفه " قمع الشهوة عن شرب القهوة".[٤٩]
- الشمس محمد بن زين العابدين عبدالرحمن القطان الشافعي، شيخ القراء وخطيب المدينة الشريفة وإمام محرابها ومؤلفه " زلة القدم والهفوة ممن يتعاطى شرب القهوة"[٥٠]

= – جامعة الحديدة—ع٦، شوال ١٤٣٧هـ/ يونيو ٢٠١٦م، ٢٤٥– ٢٩٠. ويذكر الزركلي أن له مؤلفات في البنات سماه حدائق الرياض، كما تردد إلى مكة كثيرا والمدينة النبوية المشرفة، راجع: خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، مايو ٢٠٠٢م، ٢/ ٢٧٨.

[٤٦] تاريخ الشام في مطلع العهد العثماني (٩٢٦– ٩٥١هـ/ ١٥٢٠– ١٥٤٤م) استناداً إلى مخطوطات نادرة وإعادة الصفحات من كتاب مفاكهة الخلان في حوادث الزمان لابن طولون الصالحي الدمشقي، دراسة وتحقيق: أحمد أيبش، أبوظبي، ٢٠٠٩م، ٢٨٩– ٢٩٠، ٣٥٩، ٣٦٢، نص الفتوى وما ورد عن القهوة كتاب الروض العاطر فيما تيسر من أخبار أهل القرن السابع إلى ختام القرن العاشر، تحقيق: مشهور الخبازى، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت ، ١١٠٠– ١١٠٣.

[٤٧] أورده العز بن فهد باسم نور الدين علي العجمي الحكيم، راجع: العز بن فهد، ذيل بلوغ القرى، ١٧٧٤– ١٧٧٦؛ واستمر يشارك في حوادث مكة كما ذكره العز في رمضان ٩١٩هـ، ص ١٩٢٤، ١٩٢٦.

[٤٨] لم أعثر على ترجمة له. اما مُدام المشار إليها في في العنوان فهي إما تعني الخمر، أو المداومة على شربها. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ١/ ٧٩١.

[٤٩] ذكره العز بن فهد عبدالله أبو كثير الحضرمي، كما ذكره ابن طولون في كراس التراجم المفيدة الذي وصله من جارالله بن العز باسم "البدرى حسن بن العلامة عفيف الدين عبدالله بن كثير الحضرمي الأصل المكي الشافعي". راجع : العز بن فهد، ذيل بلوغ القرى، ١٧٧٦– ١٧٧٧؛ تاريخ الشام، ٢٨٩.

- مؤلف لشخص يماني يقال له الغزالي. وذكره جارالله بأنه سبق الكازروني فيما ألفه عن الجانب الطبي للقهوة.[٥١]
- ومن المؤلفات أيضاً في الجانب الطبي وخواص القهوة مخطوط لعبداللطيف بن موسى المشرع (ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م) وعنوانه الموصل للأغراض في مداواة الأمراض. وذكر البن في الفصل الخامس وأن له فائدة في المساعدة على السهر وطيب نكهته، إضافة إلى نفعه في علاج البواسير وإزالة الحمرة من العين عند استخدام قطرة.[٥٢]
- يحيى بن سعيد بن جزله، منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان، مخطوط بمكتبة جامعة الملك سعود، ويعود إلى آواخر القرن الخامس الهجري (٤٩٣هـ/ ١١٠٠م) وسوف يشار إليه أثناء المناقشات حول تأثير البن من الناحية الطبية.[٥٣]

تحليل رواية العز بن فهد عن دور خاير بك في تحريم القهوة:

اعتمدت أغلب الدراسات التي تناولت تحريم القهوة على عمدة الصفوة للجزيري دون أن تتناول ما أورده العز بن فهد عما حدث في ذلك. وفي شهر ربيع الأول ٩١٧هـ/يونيو ١٥١١م أظهر الشيخ نورالدين علي العجمي الحكيم مصنفاً في القهوة وأنها حرام مضرة بالأبدان. وانضم إليه جماعة من العلماء لم يذكر منهم القاضي الشافعي والمالكي. وفي المقابل عارض ذلك الشيخ نورالدين بن ناصر الواعظ حيث توجه ومعه شخص يدعى الشريف العجمي المجنون (المكشوف) وتحدث مع خاير بك بأنها ليست محرمة ومعهما بعض كتب الحنفية المؤيدة لموقفهما. غير أن الشيخ نورالدين الحكم أظهر مصنفه السابق بأنها مسكرة وتضر بالبدن وكان معه الجماعة السابقة. كما

---

[٥٠] ذكر الجزيري أن الشيخ القطان اطلع على مؤلف في ذم الحشيشة فجعله برمته في القهوة ونسبه إليه دون ان يحدد هذا المؤلف. راجع الجزيري، عمدة الصفوة– نشر الحبشي، ٤٢. أما نص المحضر لدى ابن طولون فقد تضمن فقرة تقارن القهوة مع ما حدث من الحشيشة والتي أفتى البعض في بدايتها بالحل ثم عندما تبين إفسادها تم تحريمها بالإجماع. راجع: تاريخ الشام، ٣٦١

[٥١] تاريخ الشام، ٢٨٩.

[٥٢] جامعة الرياض (الملك سعود حالياً) رقم ١٨٥٦، عدد الأوراق ٥٨، ورقة ١٤ (أ) وكتبت كلمة بن في الهامش لعدم وضوحها في الصفحة نفسها.

[٥٣] مكتبة جامعة الملك سعود "قسم المخطوطات" ، رقم ٥٥٨٤ ف ١١٨٣/ ٢ عدد الأوراق ١٨٤ ق. وتم نشره بتحقيق محمود مهدى بدوى، القاهرة، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

أحضروا من شهد من عند الحنفي المرشدي بعد أن اجتمع بدأ ودهم[٥٤]. وتتوقف رواية العز عند هذا الحد دون أن يوضح موقف خاير بك من هذا الخلاف بين الفريقين.

انتقل العز بن فهد إلى الرواية التي استند عليها الجزيري ونقلها عن ابن طولون فيما يتعلق بالمحضر الذي أورده في مصدره[٥٥]. وبمقارنته بما أورده العز بن فهد نجد عدم توافق بينهما في الرواية. ولذا فإن الباحثة سوف تعتمد أولاً على رواية العز بن فهد لأنه كان شاهد عيان وبالتالي فهي الأدق.

يذكر العز أن خاير بك مر بجماعة من الأجناد عملوا مولد بالمسجد الحرام بقرب بيت الأمير ليلة الجمعة ٢٣ ربيع الأول ومعهم المركن وبه القهوة وهم يشربونها فضرب المملوك وقبض عليه وحبسه وكذلك الفقراء. ثم أرسل إلى القاضيين الشافعي والمالكي فحضر إليه ليلاً الشافعي وابن المالكي[٥٦].

وقبل مواصلة سرد رواية العز نجد أن خاير بك يتخذ قراره بضرب المملوك والقبض عليه وحبسه وكذلك الفقراء دون ان يفسر سبب ذلك. كما أنه أرسل للقاضي الشافعي والمالكي وكلاهما كان له صلة بهما. فالقاضي الشافعي صلاح الدين بن ظهيرة صحبه عند قدومه في جمادى الثانية ٩١٥هـ/ سبتمبر ١٥٠٩م ولا تستبعد الباحثة تناول موضوع تحريم القهوة والذي كان حدث في المحرم من نفس العام دون أن ينجح الباش جان بردى في تحريمها. كما أن اختيار السلطان الغوري لخاير بك محتسباً قد تسربت أخباره قبل أن يصل إلى مكة وهو ما ذكره العز بن فهد.[٥٧] أما القاضي المالكي فقد كانت له تجربة قاسية مع خاير بك عندما تخلف عن حضوره لكتابة محضر بما عمله من عمارة في ٢٩ رجب ٩١٦هـ/ نوفمبر ١٥١٠م وعندما حضر ضربه بيده في صدره أمام العمال ثم أمر بإرساله إلى الحبس وأساء إليه مرة ثانية ثم توسط أحد القضاة وتم الصلح، ولذا فقد أرسل ابنه ولم يحضر ليلاً[٥٨]

---

[٥٤] العز بن فهد، ذيل بلوغ القرى، ١٧٧٤– ١٧٧٥.

[٥٥] .راجع ما سبق تاريخ الشام، ٢٨٩– ٢٩٠؛ وكذلك الأيوبي ، الروض العاطر، ١٠٩٦– ١٠٩٧

[٥٦] العز بن فهد، ذيل بلوغ القرى، ١٧٧٥؛ وورد اسم المملوك بأنه السيف قرقاس الناصري وأنهم لما رأوا خاير بك أطفئوا الفوانيس ووجد عندهم شراب القهوة يديرونه على هيئة شرب الخمر يدار عليهم بكأس. راجع: الجزيري، عمدة الصفوة، ٢٠١ (نسخة المخطوط)

[٥٧] العز بن فهد، ذيل بلوغ القرى، ١٦٩٠– ١٦٩١

[٥٨] نفس المصدر، ١٧٤٩

يستمر العز في سرد ما حدث في صباح اليوم التالي – وهو الجمعة –حيث أمر الأمير بحضور المعارضين السابقين وانضم إليهم جماعة أخرى وأجمعوا كلهم بعد أن شهد الشهود بأنها تسكر وتضر بالبدن وأرسلوا لابن المرشدي الذي لم يحضر لمرضه ووافق. أما نورالدين بن ناصر الواعظ ومعه البخاري، فكان اعتراضهما على أنهما يشربان القهوة على المذهب الحنفي وليس الشافعي. ثم وافق الجماعة كرهاً لا اختياراً. اما الشريف العجمي الذي عارض أيضاً تحريمها فقد ضربه الأمير الباش ولما أصر أمر بإطلاق سراحه وقال إنه مجنون. وأضاف العز شخص ثالث هو أحمد جمجمة الرومي وما ذكره عن بعض كتب الحنفية فيما يتعلق بالنبيذ. وشهد عليه الشهور عند القاضي المالكي الذي ضربه بالدرة ثم حبسه وشفع فيه الترك عند الباش حيث أمره بالتوجه إلى جدة على الرغم من إنكار ذلك منه وقالوا أن قصاصه القتل.[٥٩]

أما نص المحضر الذي أورده ابن طولون ونقله الجزيري فقد ورد في أوله القاب خاير بك ومنها ناظر الحسبة بمكة المشرفة، وأنه لم يكن يعرف هذا الشراب الذي وصف له وأنه معروف بمكة وكثر بها ويباع في أماكن يجتمع عليها الرجال والنساء بدف ومزمار أو يلعب أيضاً بألعاب مخالفة للشرع مثل الشطرنج وغيره. ولم يوضح من شرح له ذلك. وبحسب رواية العز أرسل إلى القاضي الشافعي وابن المالكي[٦٠]. وتستمر الرواية أنه تذكر قول الله عز وجل " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان"[٦١] وحصر المحضر من قام خاير بك دعوتهم وهم قضاة المذاهب الأربعة وأهل التصوف والزهد والتقشف وغيرهم ممن يقتدى بقولهم. وعرض خاير بك أسباب تحريم القهوة ومنها اجتماعهم على هيئة من يشرب الخمر، وكذلك ما يحدث من ضرر نتيجة لشربها، ثم يحيل الأمر إلى الأطباء وأحضر النورى أحمد العجمي الكازروني وأخاه عليا حيث ذكر ما يسببه البن من ضرر ثم ردا على شخص من الحاضرين له إلمام بالطب حيث ذكر أن إبن جزلة أن البن محرق للبلغم. فردا عليه ذلك وشهدا عند القاضيين. كما شهد جماعة أخرى حضروا المجلس أنهم حصل لهم الضرر في أبدانهم وشهدوا بذلك أيضاً. وحرصاً

---

[٥٩] العز بن فهد، ذيل بلوغ القرى، ١٧٧٥، وعن آراء المذاهب الاربعة فيما يتعلق بحكم شرب النبيذ المسكر – الدرر السنية– الموسوعة الفقهية، إشراف علوي عبدالقادر السقاف

Feqhia :http://dorar.net.

[٦٠] العز بن فهد، ذيل بلوغ القرى، ١٧٧٥

[٦١] جزء من الآية (٢) سورة المائدة. وأضاف أنه تذكر أيضاً آيات واحاديث نبوية أخرى لم يذكرها, انظر: تاريخ الشام، ٣٦٠ وبه نص المحضر نقلاً عن ابن طولون

منهم على الحصول على رأي المذهب الحنفي فقد ارسلوا إلى قاضي القضاة الشمس المرشدي وأقاموا عنده البينة فوافقهم على تحريمها[٦٢].

اكتفى العز بن فهد بذكر أنه تم كتابة محضرين بالواقعة أخذ على أحدهما خط القضاة[٦٣]. أما ما كتبه قاضي القضاة الشافعي على هذا المحضر " الحمدلله، توكلت على الله، الأمر كما شُرح وبيِّن" وكتبه الفقير إلى الله تعالى محمد صلاح الدين ابن ظهرة، وخادم الحرم الشريف والشرع المنيف، لطف الله به. وكذلك كتب القاضيان – أي المالكي نجم الدين المالكي والذي كان اكثرهم شرحاً لأسباب التحريم، وكذلك القاضي عبدالغني بن أبي بكر المرشدي الحنفي والذي لم يحضر الاجتماع[٦٤].

أمر خاير بك "المحتسب" بإشهار النداء بمكة المشرفة ومسعاها ونواحيها وطرقها بالمنع تعاطي القهوة المذكورة ومنع من يتعاطها وانفصل الأمر على ذلك. وجعل ذلك كله في الصحايف الشريفة[٦٥]. وعلق العز بن فهد على ذلك بقوله " والله يجزي الساعي في تركها خيراً فإنها كانت يجتمع الناس عليها نهاراً بالشوارع، وتشرب كما تشرب الشربة، ويضرب عليها بالدف وصارت موعداً ومجتمعاً للفساق؛ وامتد ذلك إلى جدة حيث تُركت، وكانت تخمر الجمعة والجمعتين والشهر وأكثر ويقال أنها تخلط بالحشيش وصار أهل الخمر يعملونها فيدخل لهم بقصدها والقصد الخمر[٦٦]. ولا شك أن رواية العز توضح موقفه المؤيد لما حدث من تحريم منضماً بذلك إلى من خشي سطوة خاير بك وتعامله في مكة المكرمة مع القضاة وغيرهم.

---

[٦٢] يتضح مرة أخرى استعداد خايربك وحشده جميع الوسائل المتعلقة باقناع الحاضرين بتحريم القهوة، سواء من أدوات شربها والطريقة وكذلك المؤيدين سلفاً لذلك سواء من الفقهاء أو الأطباء وكذلك العامة. ويذكر الجزيري نقلاً عن شهاب الدين اتهام الشاهدين وآخرين بانهم من بلد الحكيمين، إضافة إلى إلباسهم ملابس الفقراء لإيهام الحاضرين بأنهم ممن يشربها شهدوا بالتضرر منها. راجع: عمدة الصفوة (مخطوط) لوحة ١٨

[٦٣] العز بن فهد، ذيل بلوغ القرى، ١٧٧٧

[٦٤] تاريخ الشام، ٣٦٠– ٣٦٢ واكتفى بأراء ما كتبه القاضي الشافعي. أما باقي التوقيعات فقد أوردها الجزيري، عمدة الصفوة، ١٨– ٢٠.

[٦٥] الأيوبي، الروض العاطر، ١٠٩٦– ١٠٩٧

[٦٦] العز بن فهد، ذيل بلوغ القرى، ١٧٧٧

دور خاير بك في إرسال المحضر إلى القاهرة:

تولى شمس الدين الخطيب الذي كتب بتحريمها عام ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م كتابة المحضر المرسل إلى القاهرة ومعه سؤالاً أنشأه الحكيمين والخطيب لكي يحصلوا على مرسوم من السلطان لمنعها في مكة المكرمة[٦٧].وحمل هذا المحضر دويدار خاير بك ثم عاد ومعه الرد في ١٢ رمضان ٩١٧هـ/ ٣ ديسمبر ١٥١١م. وهذه المدة التي أمضاها حتى كتابة المحضر في شعبان وهو تاريخه الذي ذكره العز بن فهد دون أن بذكر تفاصيله سوى أنه حرم القهوة وأن من يشربها ينكّل به وغير ذلك مما سمعه لأنه لم يكن حاضراً عند قراءة المرسوم[٦٨].أما الجزيري فقد نقل تفاصيله وتوقيعات القضاة في القاهرة وتعليقاتهم وهو ما يحتاج لدراسة مستقلة.

الأسباب التي أدت إلى عدم نجاح خاير بك في تحريم القهوة بمكة المكرمة:

تناول الجزيري الذي ينقل عن شهاب الدين احمد بن عبدالغفار نقده لمحتوى الرد وتتوقف الباحثة عند ما يتعلق بخاير بك حيث وجه إليه شهاب الدين نقده ما يتعلق بعمله كمحتسب والتي من مهامه أن يكون على علم بكل ما يباع في الأسواق من مأكولات ومشروبات وله أعوانه الذين يبلغونه بذلك وكان له اليد الطولى في ذلك. فكيف يجهل هذا المشروب أو بيعه وشربه في مكة وكان قد انتشر بها كما أكد العز بن فهد في روايته[٦٩].

على الرغم مما أمر به السلطان من تحريم القهوة فقد كان مقترناً بأماكن شربها والهيئة التي تتم عليها وليس في تحريمها في حد ذاتها وهو ما تضمن تواقيع القضاة. وهذا كان أحد أسباب عدم استمرار تحريمها في مكة المكرمة[٧٠].

حرص خاير بك على الحصول من السلطان الغوري على إذن يتوافق مع شخصيته العدوانية والتي ظهرت في معاملته لقاضي القضاة النجم المالكي وكذلك لمقدمه وأخيه الذي طعن نفسه

---

[٦٧] الأيوبي، الروض العاطر، ١٠٩٧– ١٠٩٨

[٦٨] العز بن فهد، ذيل بلوغ القرى، ١٧٧٧– ١٧٧٨

[٦٩] الجزيري، عمدة الصفوة، ٢٠– ٢١ (مخطوط)

[٧٠] أورد الجزيري تفاصيل ذلك وما كتبه القضاة على المحضر المذكور. وللمزيد: الجزيري، عمدة الصفوة، ٢٠– ٢٢ (المخطوط) ويؤكد الجزيري أن السلطان الغورى لم يمنعها في مصر التي هي محل الكرسي والولاية ولعل منعه شربها من باب سد الذرائع مخافة على أن تشرب على تلك الهيئة الممنوعة. راجع: الجزيري، عمدة الصفوة، ٢٠ (مخطوط). كما أن الباحثة راجعت بدائع الزهور لابن إياس فلم تجد فيه أية إشارة عن القهوة أو هذا المرسوم في حوادث هذه السنوات مما يؤيد ما ذكره الجزيري.

في المسعى خوفاً منه. وبالفعل تضمنت توقيعات القضاة ومنهم من طالب بمعاقبة نورالدين علي بن ناصر بعد وصفه بالجهل هو ومن يقول بقوله بل كفره أحدهم. وتراوحت المطالبة في تغريره بالضرب والحبس والمنع من الوعظ والكلام مع الناس، وشدد آخرون في تطبيق العقوبة[٧١]. وتجدر الإشارة إلى أن نورالدين علي بن ناصر انضم إلى مواقف القضاة في الاجتماع الذي عقده خايربك وكما يقول العز بن فهد – وهو شاهد العيان– ثم وافق الجماعة كرهاً لا اختياراً. ولكن يبدو أن رأيه فيما يتعلق بما كان يتم في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بهيئة الشرب وكذلك نبذ الزبيب له صلى الله عليه وسلم كان السبب في إدانته في المحضر المذكور[٧٢].

ممارسات خايربك المحتسب وأثرها على تحريمه القهوة في مكة المكرمة:

يذكر العز بن فهد أن خاير بك تعسف في الحسبة على الناس فيما يأخذه مما جعلهم يستغيثون بالشريف بركات. ومن ذلك ما فعله بتهديد من يخالف أمره بعدم بيع النورة[٧٣] أو العمارة في مكة المكرمة وإلا يتم شنقه. وعاقب أحد الأشخاص بعد أن ضربه وحبسه ثم اطلق سراحه. كما اتهم أيضاً بالحصول على مقابل في قضية ثار خلاف بين أثنين حول جدار بينهما. وظهر دور دويدار خاير بك أيضاً في قضية أخرى تتعلق بحظر بيع البيع والشراء في مكة وإغلاق الدكاكين بها، وعاد الامر على ما كان عليه بعد إرسال السيد بركات الإذن بالبيع والشراء ومن ظُلم عليه بالتوجه إليه. وعندما أصدر خاير بك أمره عن طريق المنادي بألا يتحاكم أحد بمكة إلا عنده

[٧١] تجدر الإشارة إلى أن المحضر المرسل من القاهرة عشرة من القضاة من المذاهب الأربعة أجمعوا على تحريمها اعتماداً على أنها تسكر وتلحق الضرر بشاربها، إضافة إلى شربعا على الهيئة المذكورة والاجتماع على ذلك. راجع: الجزيري، عمدة الصفوة، ٢١– ٢٢

[٧٢] العز بن فهد، ذيل بلوغ القرى، ١٧٧٥؛ وأيد الجزيري هذه الاتهامات . راجع: الجزيري، عمدة الصفوة، ١٦ (مخطوط).

[٧٣] يوجد جبل يسمى جبل النورة على بعد ١٢ ميلاً من مكة حيث تحرق حجارته لكي تخرج منها النورة التي تستخدم في البناء. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط٤، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ١/ ١٨٩

وتهديده من يخالف ذلك، سارع قايتباي لمواجهة خاير بك وطالبه بأنه إذا كان لديه مرسوم من السلطان بذلك فالسمع والطاعة، وأغلظ في القول لدويدار خاير بك[٧٤].

أظهر خاير بك مرة اخرى شخصيته في كيفية تعامله مع القضاة في مكة المكرمة وذلك من خلال ما حدث من خلاف حول قضية زواج والخلاف المذهبي الذي حدث بين القاضيين الحنفي والمالكي بشأنها. وفي المجلس الذي عقده خاير بك اتهم القاضي الحنفي بعدم مراعاة الشرع، كما وجه نفس الأمر للمالكي وبالغ معه في أساءته لهما ثم نصب نفسه بأنه نائب السلطان ويجب مراجعته ولكن المالكي رد عليه بأنه نائب الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) والسلطان. ثم عندما طالبه القاضي الشافعي بإبداء رأيه رد عليه بأنه يبينه وقتما يشاء لأنه بطبيعة الحال لم يكن لديه المعرفة الشرعية الكافية بذلك. وبعد أن أمر بحبس القاضيين وتسفيرهما إلى مصر تراجع. وعلق العز بن فهد على ما حدث بأن يدفع الله عن المسلمين جور الجائرين وكان ذلك في ١٣ رمضان ٩١٧هـ/ ٤ ديسمبر ١٥١١م[٧٥].

عاد دويدار خاير بك من القاهرة حاملاً المرسوم الخاص بتحريم القهوة في مكة والتنكيل بمن يشربها، إضافة إلى مرسوم آخر خاص بخاير بك عن تعظيمه لدى السلطان وأنه مقرب عنده، كما كلفه بأعمال عمارة أخرى في جدة وينبع [٧٦]. وفي شوال ٩١٧هـ/ يناير ١٥١٢م حرص خاير بك على إظهار ما يقوم به من عمارة للتقرب إلى السلطان ورفع مكانته لديه عندما سجل على نقش العمارة في جدار حجر إسماعيل عليه السلام اسم السلطان ولقبه صاحب القبلة خادم الحرمين الشريفين، وإلى اسمه " المقر العالي السيفي خاير بك العلائي أحد الأمراء الطبلخانات بالديار المصرية وباش المماليك السلطانية وناظر الحسبة المشرفة وشاد العمائر السلطانية وما مع ذلك الملكي الأشرفي" [٧٧].

حرص خاير بك على إطلاع قايتباي شريف مكة على ما قام به من عمارة الحجر عند وصوله، ثم تدخل للصلح بين القاضيين الشافعي والمالكي بسبب الخلاف الذي حدث عند رؤية هلال

---

[٧٤] العز بن فهد، ذيل بلوغ القرى، ١٧٨٩، ١٧٩٨، ١٨٠١– ١٨٠٥؛ غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، جدة،٣ج، ١٩٩٥م، ٣/ ٢٣١– ٢٣٢، وأشار العز هنا صراحة إلى تعسف خاير بك في الحسبة.

[٧٥] العز بن فهد، ذيل بلوغ القرى، ١٧٨٠، ١٧٨١، ١٧٨٩، ١٧٩١، ١٧٩٢

[٧٦] العز بن فهد، ذيل بلوغ القرى، ١٨٠٥– ١٨٠٦

[٧٧] العز بن فهد، ذيل بلوغ القرى،١٨١٢

رمضان ٩١٧هـ/ نوفمبر ١٥١١م. وعند توجهه إلى جدة في المحرم ٩١٨هـ/ مارس ١٥١٢م ترك خايربك قلج خازنداره نائباً عنه في مكة ويدل ذلك على ما وصل إليه من اتخاذ مثل هذه القرارات والتي لا شك أنها نبعت من ثقة السلطان به كما رأينا في المرسوم السابق إضافة إلى الدعاية المستمرة لنفسه فيما يرسله للسلطان من إنجازات يقوم بها [٧٨].

عزل خاير بك عن باشوية مكة:

كان للصدام الذي حدث بين خاير بك والقاضي زين الدين المحتسب في جدة في صفر ٩١٨هـ/ أبريل ١٥١٢م السبب في تغير السلطان على خاير بك. ويحلل العز بن فهد مرة أخرى شخصية خاير بك يقول أنه كان له حقد على زين الدين المحتسب وزاد ذلك في ضربه وسحبه من رقبته بمنديل حتى إيصاله إلى بيت الأمير بعد أن أنهال بالضرب. ولم يكتف بذلك بل طلب من القاضي الشافعي أن يكتب محضراً بان زين الدين كان سكران ولكنه رفض حتى يراه وأرسلوا إلى الشريف بذلك. وتوسط البعض للصلح وتم إرسال الأمر إلى السلطان بالقاهرة. وتدخل السيد بركات وكتب محضراً أرسله للسلطان أيضاً مما يدل على خشيته مما وصل إليه خاير بك من سلطة أراد أن يستغلها للتخلص منه. وفي نفس الوقت أرسل القاضي زين الدين عبداً من جانبه ومعه الأدلة التي تدين خاير بك حيث شرح ما فعله ضد سيده إضافة إلى الملابس والكوفية التي عليها آثار الدماء مما جعل السلطان يأمر أن يخرج خاير بك إلى ينبع وينتظر أمره، ويسلم العمارة إلى القاضي زين الدين وكان ذلك في ربيع ثان ٩١٨هـ/ يونيو ١٥١٢م. ثم وصلت الأخبار إلى العز بن فهد باختيار الأمير قطلباي باش لمكة المشرفة[٧٩].

عاد خاير بك من جدة إلى مكة مريضاً في أول جمادى الآخرة ٩١٨هـ متأثراً بما وصل من أخبار من السلطان ويبدو أن دويداره وخزنداره لم ينجحا في إقناع السلطان فعادا إلى مكة. كما وصل مرسوم لخاير بك مع ناظر الخواص في شعبان ٩١٨هـ/ أكتوبر ١٥١٢م فيه عتب وتقرير وتهديد لما فعله من إساءات وعدوانه على زين الدين محتسب جدة إلى مخالفات أخرى دلت على أن السلطان الغوري كانت تصله الأخبار أولاً بأول عن بلاد الحجاز[٨٠].

[٧٨] العز بن فهد، ذيل بلوغ القرى، ١٨١٢– ١٨١٤، ١٨٢٨

[٧٩] العز بن فهد، ذيل بلوغ القرى، ١٨٢٩– ١٨٣١؛ العز بن فهد، غاية المرام، ٣، ٢٤٦– ٢٤٧

[٨٠] العز بن فهد، ذيل بلوغ القرى، ١٨٤٠– ١٨٤١

ظل خاير بك يمارس بعض الأعمال على أمل أن يرضى عنه السلطان، ولكنه عاد إلى شدته في تعامله حيث قام مقدمه بقتل نفسه. ويعود العز إلى نقده له قائلاً، وكان نقمة على المسلمين ظلم ظلماً كثيراً" وأراد خاير بك أرضاء ابني المتوفى فجعلهما مقدمين ومتكلمين على الحسبة بالأمان إضافة إلى شيخ سقايته أيضاً[٨١]. ويدل هذا أيضاً على استمراره في محاولة ممارسة سلطته قبل وصول الباش الجديد.

عودة خاير بك إلى القاهرة:

لم يوضح العز بن فهد من الذي أمر بضرب جماعة كانوا يشربون القهوة ضرباً يسيراً نحو العشرة أو أزيد وهم ملازمون غلظهم[٨٢]. وتدل العبارة على استمرار وجود القهوة وعدم نجاح ما تم سواء من فتوى أو محضر التحريم من القاهرة أو ما قام به خايربك من محاولات لمنعها ومعاقبة شاربيها.

صحب خاير بك ركب الحج المصري في عودته حيث وصل في ٢٣ المحرم ٩١٩هـ/ ٣١ مارس ١٥١٣م وتمكن خاير بك من أن يتقرب للسلطان مرة أخرى وذلك عن طريق ما بين عشرة ألفاً وعشرين بخلاف هدية فرضى عنه وعن جميع جماعته وأرسل ورقة بذلك إلى مكة المكرمة[٨٣]. عاد السلطان للاستعانة بخبرة خاير بك "المعمار" حيث كان ضمن مجموعة من الأمراء اختارهم للسفر إلى السويس، ثم خرج معهم في صفر ٩٢٠هـ/ مارس ١٥١٤م. ولمدة ثلاثة أيام أمضاها السلطان أنشئ خان ودكاكين وأبنية اخرى وحفر آبار وزودها بسواقي ثم عاد إلى القاهرة[٨٤]. أما خايربك فقد عاد فيما يبدو قبل عودة ابن السلطان الأمير محمد ووالدته حيث كانا في مكة المكرمة لأداء فريضة الحج[٨٥]. ووجد نقش لأعمال إصلاح بالعراقيب التي في

---

[٨١] يرد مسمى وظيفة أخرى لخايربك وهي شيخ السقاة. كما أن اختياره من ينوب عنه كان يبدو من السلطات الممنوحة له. راجع: العز بن فهد، ذيل بلوغ القرى، ١٨٦٥

[٨٢] العز بن فهد، ذيل بلوغ القرى، ١٨٩٧– ١٨٩٨

[٨٣] العز بن فهد، ذيل بلوغ القرى، ١٨٩٧– ١٨٩٨. على الرغم من أنه لم يوضح من المقصود بجماعته فهم على الأرجح من عمل معه سواء الدويدار أو الخزندار، وإضافة إلى من كلفه بأعمال أثناء وجوده في مكة المكرمة مثل المقدم ونائبه وشيخ سقاته.

[٨٤] ابن إياس، بدائع الزهور، ٤، ٣٦٢– ٣٦٧

[٨٥] شارك عدد كبير من الحجاج في الخروج مع هذا الركب وتابع السلطان الغوري سفرهم، كما كانت تصله الأخبار أولاً بأول سواء عن طريق الكتب أو المبشر الذي عاد إلى القاهرة في أثنى عشر يوماً حيث بشر السلطان بسلامة ابنه وزوجته. ولم يوضح العز بن فهد هل ما تم من إصلاحات في المسجد الحرام هل لها

طريق العقبة ويخلص أحد الباحثين إلى أن صحة تاريخه تعود إلى تاريخ عودة ابن السلطان والذي قام به خايربك المعمار وهو ما بين ذو القعدة ٩٢٠هـ وصفر ٩٢١هـ[٨٦].

وفاة خايربك ٢صفر ٩٢٢هـ/ ٧مارس ١٥١٦م:

يشير إبن إياس إلى استمرار دور خايربك وتقربه من السلطان الغوري حيث أرسله في رجب ٩٢١هـ/ أغسطس ١٥١٥م مع أمراء آخرين إلى تأمين الدرب السلطاني من غزة إلى مصر بعد اضطرابات حدثت به من جانب عربان جبل نابلس. ثم كلفه مرة أخرى عندما صحبه لتفقد أبراج الإسكندرية ورشيد بعد وصول أخبار عن تهديد العثمانيين لهما. وأشيع أنه أنعم عليه بتقدمة ألف وجعله متحدثاً في باشية برج الأشرف قايتباي وذلك في رمضان ٩٢١هـ/ أكتوبر ١٥١٥م. وفي الشهر التالي كان ممن خلع عليهم السلطان من أمرائه في يوم عيد الفطر[٨٧].وفي ٢صفر ٩٢٢هـ/ ٧ مارس ١٥١٦م كانت وفاة خايربك " مسعود البركات" كما وصفه ابن إياس وصلى عليه السلطان الغوري وكانت له جنازة مشهودة[٨٨].وعلى الرغم من ذلك فإنه لم يأمن من غدر السلطان بعد وفاته والذي كان قد وعده بالعفو عن جماعته. فقد اختار من مماليكه ما يشاء، كما قبض على دويداره ومباشريه وأمر بحبسهم على الرغم من أن خاير بك برأهم في وصيته. كما لم تسلم ابنة خايربك وكانت زوجة ثاني بك الخازندار أحد الأمراء المقدمين حيث وصلت شائعة للسلطان بأنها أخذت أموال جزيلة من مال والدها. ولم يسمع السلطان لها فقامت ببيع ما لديها بعد أن حلف السلطان على إغراقها إن لم تأت بالمال[٨٩].

علاقة بوصول ابن السلطان أم لا خاصة وأنها لم يصل مراسيم بشأنها من السلطان وإنما قام بها بعض التجار. وأضاف أن السلطان أرسل منبر الخطيب وآخر يصعد منه للكعبة المشرفة حيث تم عملها في يومين. للمزيد: العز بن فهد، ذيل بلوغ القرى، ١٩٦٣– ١٩٦٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ٤، ٤٠٩– ٤١١

[٨٦] غادر ابن السلطان وخوند مكة في الثالث عشر من ذي الحجة ٩٢٠هـ، ووردت الأخبار إلى مكة بأن السلطان أرسل لما لاقاه ابنه عند الينبع، كما أن أمير البشائر عند مغادرة شعيب – أحد منازل طريق الحج المصري– إضافة إلى ما قام به خاير بك من إصلاح العراقيب استعداداً لوصوله. راجع: العز بن فهد، ذيل بلوغ القرى، ١٩٧٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ٤، ٤٤٤؛ عبدالمالك، درب الحج المصري ، ١٤٤– ٢٩٧.

[٨٧] ابن إياس ، بدائع الزهور، ٤، ٤٦٧، ٤٧٤، ٤٧٩.

[٨٨] ابن إياس، بدائع الزهور، ٥، ١٥

[٨٩] ابن إياس، بدائع الزهور، ٥، ٣٢

الخاتمة:

من خلال العرض السابق توصلت الباحثة إلى عدد من النتائج الهامة ومنها:

أولاً: برز دور خاير بك السيفي إينال من بداية عام ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م عندما كان كاشفاً للغربية وهي أحد المناصب الهامة للأمراء في تلك الفترة، ثم سرعان ما أثبت كفاءته عند اختيار السلطان الغوري له للخروج على رأس الحملة التي كلفها بالقضاء على الأخطار التي هددت طريق الحج وأدت إلى توقفه عام ٩١١هـ/ ١٥٠٥م مما أدى إلى شكر السلطان. واستطاع خايربك أن يحقق هدف السلطان من إعادة الأمن وخروج ركب الحج في عام ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م، كما نجح في الدعاية لنفسه لدى السلطان فأنعم عليه بأمرة طبلخاناه، إضافة إلى إرساله أوراقاً إلى مكة بما حققه، وكذلك أربعة من رؤوس الذين هددوا طريق الحج إلى جدة مرفأ الحج الرئيس في تلك الفترة إضافة إلى مركزها التجاري.

ثانياً: أثبت أيضاً جدارته عند اختياره " معماراً" أو " شاد العمائر السلطانية" في عام ٩١٤هـ/ ١٥٠١م ونجح في تنفيذ ما أمره به السلطان من عمارة في طريق الحج المصري. ومرة أخرى يحرص على تسجيل ذلك وتقربه من السلطان بما تركه من مجموعة من الشواهد الأثرية خلدت اسم السلطان الغوري وألقابه المتعلقة بالحرمين الشريفين. كما لم أن يسجل ألقابه مع حرصه أن يضيف أنه أحد مماليك السلطان الغوري. ووصلت أخبار العمارة إلى السلطان عن طريق الحجاج العائدين الذين أشادوا بها وكذلك الخدمات المقدمة لهم منها والأمن في الطريق، إضافة إلى ما ذكره المؤرخ ابن إياس. وللمرة الثانية يثبت خايربك كفاءته في مهمة "المعمار" التي كلفه السلطان بها.

ثالثاً: دوره محتسباً لمكة المكرمة: يبدو أن النجاحات التي حققها خايربك تركت أثرها عليه بعد أن جعله السلطان "باش المماليك و محتسباً وناظراً على المدرسة الأشرفية وأوقافها". وذلك في شوال ٩١٥هـ/ يناير ١٥١٠م. وتوقفت الباحثة عند تقييم دوره كمحتسب في مكة والذي أظهر من خلال هذه الوظيفة شخصيته الحقيقية حيث تعامل بالشدة والعنف مع من وقف ضده. وأورد العز بن فهد العديد من الأمثلة سواء مع القضاة أو فئات أخرى وتسرعه في العقوبات ضدهم. أما ما يتعلق بموضوع تحريم القهوة فقد أحكم خاير بك الأعداد له سواء عن طريق حشد المؤيدين له في تحريمها أو معاقبة المعارضين له. كما كان لمعاونة الدويدار دوره في ذلك سواء في حمل المحضر إلى القاهرة أو العودة بالرد إلى مكة. ولم يستمر التحريم فترة طويلة بسبب انتشار القهوة

في المجتمع المكي وعدم اقتناع الناس بما ورد من أسباب لتحريمها خاصة أنها مسكرة أو مضرة بالبدن. كما أن إعادة خاير بك إلى القاهرة بعد إثبات تهمة اعتدائه على زين الدين المحتسب في جده وفشله في الدفاع عن نفسه لدى السلطان على الرغم من تدخل زوج أخته في ذلك، كان له أثره على عودة القهوة لتكون أكثر ظهوراً في مكة المكرمة وفشله كمحتسب في تحريمها.

رابعاً: على الرغم من نجاح خاير بك في الحصول على عفو من السلطان الغوري وتكليفه له بمهام عديدة بعد عودته إلى القاهرة، إلا أنه لم يكلفه بمهام أخرى في مكة حتى وفاته في صفر ٩٢٢هـ/ مارس ١٥١٦م.

خامساً: كان لموقف العز بن فهد – شاهد العيان – لهذه الأحداث أثرها على دراسة تحريم القهوة في مكة والذي كان مؤيداً لذلك، بينما نجد أن مؤرخاً مثل ابن إياس لم يذكر أية إشارة عن هذا الأمر مما زاد الأمر صعوبة لدى الباحثة.

سادساً: أورد جارالله بن فهد في مؤلفه نيل المنى بذيل بلوغ أم القرى عدداً من الإشارات التي تثبت فشل خاير بك في تحريم القهوة في مكة المكرمة والتي كانت تواجه من فترة إلى أخرى صدور بعض الفتاوى في ذلك مثلما حدث من جانب خاير بك.

والله الموفق